



فيروس التعرية يد الإنسان

## شراهة البناء والإعمار تشوه وجه الطبيعة في بلدان العالم

### من قبرص إلى لبنان، مافيات الرمال والحصى تقاتل من يعترض طريقها



تقلع الأشجار لأجل الميطان

2017 عن الجيش اللبناني. يقول حداد، "تلقيت اتصالات هاتفية من مجهولين هددوني بكسر ساقاي أو حذروني بعدم الذهاب إلى عين دارة وهددوني بالقتل".

وحتى صدر القرار القضائي الأخير في 26 يوليو، انتشر العشائر من الجنود وعناصر الأمن منذ فجر في عين دارة، حيث عادة ما يتحدث السكان عن مسلحين يحرسون الكسارات. وأغلقت القوى الأمنية الكسارات بالشمع الأحمر، وإحداها تعود لشخصية سياسية معروفة، ولكن سرعان ما "عاد معظمها إلى العمل متجاوزة الإختام"، كما يقول حداد بأسف.

40

مليار طن من الرمال والحصى  
تستخرج سنويا من جبال وأنهار  
أو شواطئ كوكب الأرض

ويقدر مسؤول في وزارة البيئة اللبنانية، فضل عدم الكشف عن اسمه، أن "عددا قليلا منها فقط يعمل بما يتناسب مع المرسوم" الذي ينظم عمل هذه الكسارات والذي صدر سنة 2002.

وأشار إلى أن "تكلفة التدهور البيئي الناتج عن هذه الكسارات تصل إلى 610 ملايين دولار سنويا".

يلقى الناشطون البيئيون اللوم على الفساد المستشري في البلاد وأداء الطبقة السياسية فضلا عن عدم اهتمام الرأي العام بالقضية أساسا.

يقول هؤلاء إنها مشاريع تعود إلى شخصيات سياسية مهمة تعمل في مجال صناعة الأسمنت ما خلق نوعا من الحصانة لتلك الكسارات.

في يونيو، أصيب خمسة أشخاص بجروح خلال اعتصام أمام مدخل إحدى تلك الكسارات، ويوضح مارون بدر، رئيس بلدية عين دارة، "خرجنا لنعترض (...) تجمع رجاله وهجموا علينا واطلقوا النار باتجاهنا"، مضيفا، "إن سكوت الدولة تجاه ممارسات الميليشيات هذه غير مقبول".

الناجمة عن غبار السيليكا. ويطالبون بسن قوانين تلزم المقاولين بالابتعاد عن المناطق المأهولة بالسكان.

### تهديدات بالقتل

يتردد صدى الدعوات للتشدد في الرقابة في جميع أنحاء العالم، ففي لبنان، حيث اقتلعت المحاجر غير القانونية سفوحا جبلية بأكملها ومئات الآلاف من الأشجار، يلجأ المواطنون إلى القضاء ويواجهون في بعض الأحيان تهديدات بالقتل.

وبعد سنوات من الجهود الشاقة وتهديدات وصلت حد التلويح بالقتل، نجح عبدالله حداد في مساعده بصور حكم قضائي يقضي بإغلاق الكسارات غير الشرعية في قريته عين دارة في لبنان، لكن انتصاره لم يدم سوى أيام قليلة.

في أحد أيام شهر يوليو، كان حداد (61 عاما) يقف مقابل جبل أنهكته الكسارات حين تلقى الخبر السعيد، فقد أصدرت المحكمة قرارها أخيرا بإغلاق الكسارات 16 كسارة من أصل 17 تنهش سفوح جبال عين دارة الواقعة بين جبل لبنان وسهل البقاع، وليس بعيدا من محمية أرز الشوف الشهيرة.

لم يطل الأمر كثيرا، وما هي سوى خمسة أيام حتى عادت الشاحنات للعمل لنقل الحجارة ووصل عددها إلى مئة شاحنة يوميا، وفق حداد الذي ما كان منه سوى أن تقدم في 27 من أغسطس بشكوى أمام النيابة العامة الاستئنافية للتبليغ عن "التصاف الكسارات على قرارات الختم بالشمع الأحمر".

خلال 25 عاما، هذمت الكسارات أكثر من مليوني متر مكعب من جبال عين دارة، وفق حداد الذي لا يتردد في أن يصف الأمر بـ"الجريمة" بحق الجبل.

ويوضح حداد، أن غالبية أصحاب الكسارات "يعملون دون ترخيص، ولديهم في أحسن الأحوال تراخيص منتهية الصلاحية".

وتعمل أكثر من 1300 كسارة في مساحة تبلغ 50 كيلومترا مربعا في كافة أنحاء البلاد، وفق دراسة صادرة في العام

المطارات وليس لدينا خيار سوى استغلال المحاجر".

ويؤكد أن المحاجر بعيدة عن المناطق السكنية وأن العمل فيها يجري على أساس احترام جميع المعايير البيئية. ويتم استخراج أكثر من 12 ألف طن يوميا في شمال قبرص، وفق اتحاد المحاجر بما يوازي حوالي 33 كيلوغراما للفرد، علما أن المتوسط العالمي هو 18 كلغم وفقا للأمم المتحدة.

ويأسف رئيس رابطة البيولوجيين في شمال قبرص حسن ساربتن لوجود محجر كبير خارج المنطقة المحددة ولأنه "لا يتم الالتزام بأفضل المعايير" للحفاظ على البيئة، موجها انتقادات للسجلات القبرصية التركية.

وكما هو الحال في شمال قبرص المحتل، يشعر علماء البيئة أيضا بالقلق في الجزء الجنوب، يقول المختص بشؤون البيئة كليتوس باباستيليانو، إن "الاستخراج المتزايد للمواد الخام لأغراض البناء هو أحد التهديدات الرئيسية للمناطق الطبيعية المحمية".

ويذهب كارالامبوس ثيوميميتو النائب عن حزب الخضري إلى القول إن "بناء المراسي الترفيهية يتطلب كميات كبيرة من الصخور".

وفي جنوب نيوزيلندا، يثير مشروع مقلع بالقرب من بلدة تيمبلتون معارضة السكان خشية من الآثار الصحية

المناطق الغابية أو الزراعية المحاذية، ما يتسبب في ارتفاع نسبة الملوحة والتأثيرات السلبية لذلك على البنية الحيوية من حيوانات ونباتات. وقد شهدت العشائر من الهكتارات الزراعية الخصبة القريبة من الشواطئ تراجعاً في السنوات الأخيرة بفعل هذه العوامل، التي ساهمت أيضاً في تقلص مساحات زراعة الخضراوات والفواكه.

هذه ظاهرة باتت تشكل تهديدا للطبيعة وللإنسان، فإلى جانب التأثيرات البيئية المختلفة تشكل شاحنات النهب التي تعمل ليلا تهديدا صريحا لحياة السكان. وتسجل الدوائر الأمنية الجزائرية شهريا المئات من القضايا المتعلقة بنهب الرمال عبر المحافظات الساحلية، كما تحجز العشائر من الشاحنات وتوقف المئات من ناھبي الرمال. ولإسبوع نهب الفنادق والمسكن السياحية ومشاريع الطرق للأسمنت، تعمل المحاجر في القسم الشمالي من جزيرة قبرص، على نهش صخور الجبل الذي يرعى فيه جمال ماعزه.

يقول مربي الماعز البالغ من العمر 55 عاماً، "سأضطر إلى الرحيل، لا مستقبل لي هنا" بعد أن اختفى الغطاء النباتي

وانهار جزء من الجبل. وعلى الرغم من أن جمال يدرك "الحاجة للصخور لبناء الطرق والمسكن"، إلا أنه يأمل في أن تساعده الشركة التي تتشرف على الكسارات في العثور على مرعى أكثر هدوءاً.

وأصبح شمال قبرص، بؤرة للتجاذب بين المدافعين عن التطور العمراني والمنادين بالحفاظ على الإرث الطبيعي. يقول شينك ساربر، إن "الجزيرة تعيش بفضل السياحة. نحن بحاجة إلى الفنادق والطرق

البنائات الشاهقة والفنادق والمركبات التجارية والفيلات الفاخرة والطرق المعبدة، تسر العين صحيح، لكن ثمنها مكلف جدا يدفعه كوكب الأرض والطبيعة، فالإعمار والبناء الذي أساسه الأسمنت والحصى والرمل، يشترط اقتلاع هذه المواد من باطن الأرض مما يشوه وجه الطبيعة ويحفر جروحا غائرة فيها، لذا يحاول الناشطون البيئيون أن يوقفوا هذا النزيف لكنهم يواجهون تهديدا من بارونات هذه المقالع.

أين ستاتي المواد لبنائها؟"، مستنكراً ما يسميه "تفاقا". ويحث برنامج الأمم المتحدة للبيئة، على تفضيل المباني القائمة والحد من "المشاريع العقارية المخصصة فقط لإظهار الهيبة والثراء"، ولتجنب، مساكن الأشباح الخالية التي تملا أيرلندا أو إسبانيا مثلا بعد سنوات من ازدهار المضاربة العقارية. وحض البرنامج على إعادة التفكير في استخدام الرمال ثاني أكبر مورد مستخرج في العالم، بعد الماء، من قبل الصناعة والحكومات والجمهور. وأشار البرنامج إلى الحاجة إلى الحفاظ على الرمال وإعادة التدوير والبحث عن بدائل.

### نهب الرمال

من قبرص إلى نيوزيلندا مرورا بدول البحر المتوسط، يشعر الناشطون المدافعون عن البيئة بالقلق من انتشار المحاجر ونهب رمال الشواطئ.

في الجزائر، يؤدي الاستغلال المفرط لرمال الشواطئ وإزاحة هذا الحاجر الطبيعي إلى إحداث اختلال في التوازن البيئي، من خلال تسرب مياه البحر المالحة إلى المياه الجوفية العذبة.

ودق خيرة البيئة ناقوس الخطر حيال التهديدات التي يواجهها النظام الإيكولوجي البحري في ظل تنامي ظاهرة اقتلاع رمال الشواطئ والكثبان عبر الشريط الساحلي.

يقول الخبراء، إن الرمال الشاطئية تمثل أحد الحواجز الطبيعية التي تمنع هجوم مياه البحار على اليابسة، لذلك فإن أي مساس أو تغيير للبيئة الساحلية من خلال اجتثاث هذه الرمال سيتسبب في تدفق مياه البحر نحو

جنييف - يقول مدير برنامج الأمم المتحدة للبيئة بجامعة جنيف باسكال بيدوزي، إن إعادة تدوير أنقاض المباني لاسيما في البلدان التي دمرتها الحروب، هي أحد الحلول للحد من الأضرار التي يلحقها بالطبيعة استخراج الرمال والصخور من الشواطئ والجبال، لكن الأمر لا يقتصر على سوريا أو العراق أو ليبيا، فالمدن التي تشهد كثافة سكانية في المدن الرئيسية والعواصم، بدأت تشييد أبراجها وفنادقها وعمارتها السكنية على حساب الشواطئ والأنهار والجبال والموارد المائية.

من قبرص إلى نيوزيلندا مرورا بلبنان والجزائر، يشعر الناشطون المدافعون عن البيئة بالقلق من انتشار المحاجر ومقالع الرمال في عالم يزداد جشعه للأسمنت الذي تصاعف استهلاكه ثلاث مرات في السنوات العشرين الماضية، قلق من مواجهة مافيات الرمال ومقاع الحجر، وهم رجال نافذون يدفعون الرشاوي ويهددون بالقتل من يقف في طريقهم.

### هدر هائل

يستخرج أكثر من 40 مليار طن من الرمال والحصى سنويا من جبال وأنهار أو شواطئ الكوكب، وذلك أساسا للبناء، وتتسبب هذه الأنشطة بإزالة المزيد من الغابات وتلويث الهواء وتعطيل الأنشطة البشرية التقليدية.

ومع توقع زيادة عدد سكان الأرض بمقدار ملياري نسمة بحلول العام 2050، من المرجح أن تزداد هذه الكميات، وفق برنامج الأمم المتحدة للبيئة.

وبعيدا عن اللوائح والقوانين، يتفق المدافعون عن البيئة والخبراء والمقاولون على نقطة واحدة، وهي أن المستهلك يتحمل نصيبه من المسؤولية.

يقول شينك ساربر رئيس اتحاد أصحاب المحاجر في قبرص، "الناس يقولون.. نريد طرقا وفيلات ومدارس، لكن من



خرسانة من جوف الأرض